الكتاب الكريم في فاتحته وخاتمته

السيد عبد العزيز العلي المطوع

القرآن العظيم حبل الله المتين يسمو بمن اعتصم به . وروح من أمر الله لتطهير عباده وتهيئتهم للفلاح والهدى . وان العبد مفتقر إلى طريق سوي في الحياة أشد من حاجته إلى الطعام والشراب الذي تشترك معه الانعام فيهما :

ما قيمة المرء إن لم يكن أجل من الآكل والشارب

والقرآن العظيم حافل بالخير كله من المنعم المتفضل رب العرش العظيم « الذي خلقني فهو يهدين ، والذي هو يطعمني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين » كما جاء في دعوة ابينا ابراهيم عليه السلام ، ولا نجاة إلا لامرئ « أتى الله بقلب سليم » وان هذا القرآن العظيم حلقة متماسكة وعروة وثقى لا انفصام لها يفسر بعضه بعضاً .

واليك أيها الأخ اللبيب صورة من الارتباط المتين والتماسك القوي بين أول سورة وآخر سورة من كتاب الله ذي الجلال والاكرام ، فان في كل من السورتين بياناً للسورة الاخرى بوحدة مقاصدها ووثيق ارتباطها معنى بمعنى « قل أعوذ برب الناس » الرب هو المالك وفيه معنى التربية والتنمية للعالمين من منشئهم وذارئهم ذرءً ، من لا ترى في خلقه

وما هذه الحياة التي تحياها ملايين من البشر بالذل والمهانة والفاقة إلا نتيجة لاعراضهم عن سلوك سبيل المجد وسلوكهم طريق الراحة واستلذاذ اللهو والحياة الفارغة اللاغية .

ومن هنا ندرك السر في عد الاعراض عن اللغو من موجبات السعادة ومحصلات الفوز في الدنيا والآخرة للفرد والجماعة . وما أعظم القرآن الكريم حينما أدرك السر العظيم ودل عليه جماعة المؤمنين . فقال : « والذين هم عن اللغو معرضون » . صدق الله العظيم .

محمد نمر الخطيب

من تفاوت ، وفاطرهم ومكونهم الرحمن بهم جميعاً فضلاً منه تعالى عاماً ، والرحيم بمن شاء منهم جائزة خاصة منه وفضلاً ، ولا سيما لمن حمله الأمانة فأداها وقدر التبعة فشعر بها وأحسن القيام فيها مشفقاً وجلاً متقياً ما استطاع ، فكان في أرض الله خليفة راشداً هادياً مهدياً مستقيماً على الايمان والعمل الصالح حتى يستحق أدنى الجزاء « فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » والناس على مراتب متفاوتة على قدر حظهم من الاعتصام بالله والالتجاء إلى كنفه والعياذ به « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون أم من هو قانت اناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب ، أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ، أم نجعل المتقين كالفجار » « وما يستوي الأعمى والبصير ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء ، قليلاً ما تتذكرون » .

فمن استعاذ برب الناس التمس لنفسه من بينهم منزلة يرضى له بها من خلقهم وكتب على نفسه الهداية لهم ، فسما إلى رب العالمين ونجا من مهاوي الهالكين برحمته وفضله ، وعلى هذا يقابل « رب الناس » من سورة الفاتحة ذكر « رب العالمين الرحمن الرحيم » وذكر ربوبية العالمين يشمل جميع من في الوجود والكائنات من أدناها كالجمادات لاعلاها رتبة في الحياة غير مبدعها الذي خلق فملك وهو الغني الحميد الذي بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير » « فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الانعام أزواجاً يذرؤكم فيه ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » .

وان الناس لفظ عام يشمل ابناء الانسانية وهم من العالمين وكثيراً ما ورد في القرآن العظيم ذكر العالمين بمعنى (الناس) كقوله تعالى حكاية عن قوم لوط « قالوا : أولم ننهك عن العالمين » والآية الثانية من سورة الناس تذكر من بعد الربوبية صفة الملك « ملك الناس » انه ملكهم ومالكهم في الدنيا والآخرة غير ان هذه لصفة تتجلى في الآخرة بأجلى معانيها تتجلى في يوم الدين يوم « لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار » يوم الدين الذي تدان به الناس « وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله » « وله الملك يوم ينفخ في الصور » . ويقابل « ملك الناس » من سورة الفاتحة « ملك يوم الدين » « إله الناس » أي معبودهم ومستعانهم الحق ، ويقابل ذلك من سورة الفاتحة

« اياك نعبد واياك نستعين » وبذلك حصر سبحانه وتعالى العبادة والاستعانة في إله الناس الذي لا اله إلا هو ، والاستعاذة «برب الناس ،ملك الناس ،إله الناس ،من شر الوسواس الخناس ،الذي يوسوس في صدور الناس ،من الجنة والناس » هي تخلية والتماس للهداية من «رب العالمين ،الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين » الذي لا نعبد غيره ولا نستعين بسواه مطلقاً إلى قوله « الصراط المستقيم ،صراط الذين انعمت عليهم » من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » هي تحلية ومعلوم ما بين التخلية والتحلية من الارتباط الوثيق ، ففي الاولى استعداد وتهيوء للثانية التي تلزم من بعدها المباشرة ، فمن التدس تحلية بعد سبق للتخلية بدعاء علمه إياه السميع المجيب الذي هو أقرب إليه من كل قريب لديه وأمر ملائكة قدسه بالتأمين عليه كان جديراً بالاجابة . فمن قوله ووعده الحق « لا إله إلا هو الحي القيوم »اجابة مستوجبة للحمد لله ، وهو المحمود على كل حال سبحانه « لا نحصي ثناءً عليه » وهو كما أثنى على نفسه ، فكان الحمد لله في الافتتاح من فاتحة الكتاب لأنه من الكمال لكل أمر ذي بال أن يبدأ بـ « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين » ولا سيما في معارض الدعاء توسلاً وتوخياً للخير وتأدباً ، وإلا فالأمر أجذم مبتور الذرء ، وقد حمى الله الجليل العظيم كتابه الكريم من النقص ، وعباده الصالحين مما لا يرضيه ، إنه هو الرحمن الرحيم ، واما توجيه الأمر بالاستعاذة إلى النبي ﷺ بـ « قل » في بدء سورة الناس ، فذلك مثل ما في كتاب الله من الأمر بالاستعاذة فانه موجه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه اسوة الحسنة لاتباعه ولعل في ذلك تخفيفاً لنا ورحمة ، وان بين سورتي الفاتحة والاخلاص من البيان الواضح ما بين المعوذتين حتى لكأن السور الأربع سورة واحدة بما يتضح به الارتباط القوي بين مستهل القرآن ،ولقد ورد في سورة الفاتحة أنها هي السبع المثاني وانها تعدل ثلثي القرآن العظيم وورد في سورة الاخلاص أنها تعدل ثلث القرآن العظيم ،فتم بذلك المعنى القرآني كاملاً مما تشتمل عليه هذه الآية الكريمة من المعاني القيمة وهي « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم» التي ورد أنه : لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الفرقان مثلها . هذا إلى جانب ماورد في المعوذتين بانه قال صلى الله عليه وسلم أنزل علي آيات لم ير مثلهن قط ، ومعلوم جلي ما بين الحديثين الواردين في فاتحة الكتاب وخواتيمه الثلاث من التقارب والتماثل ، بما يدل على وحدة المقاصد وارتباط المعاني .

واختم كلمتي هذه بالابتهال اليه تعالى بأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ، وأن

العلم ...

للأستاذ فؤاد صروف

من ذا الذي تبلغ منه الجرأة مبلغاً يحمله على أن يوجز في مقال واحد ارتقاء العلم وتطوره في نصف قرن — ولا سيما هذا النصف الحافل الذي عبر جسر الزمن إلى مكانه في جوف التاريخ . قد يكون إحصاء المكتشفات والمخترعات العظيمة شيئاً لا يخرج عن الطوق وإن شق ؛ وقد يحسب الذي يصنع الاحصاء أن الطاقة الذرية في علم الطبيعة ، والعقاقير الساحرة والفيتامينات في علوم الصحة والطب ، والثقافة المارقة كالسهم والرادار في العلوم المطبقة ، هي ذروة ما بلغه العلم في نصف القرن الذي مضى، ولا يخطىء خطأ جسيماً . ولكنه قد يغفل، وقد بهرته هذه الآيات العلمية ، أن كل واحدة منها لم تبرز سوية من العدم ، بل ترتد إلى رأي نظري أو بحث لم يسترع الاهتمام في أول أمره، أو استرعى اهتمام قلة من الناس ، وأكثر هذه الاوائل يرجع إلى القرن السابق ، فمن يدرينا اليوم ونحن نحاول ما نحاول أن ليس في ثنايا النصف الأول من القرن العشرين آراء وبحوث خليقة أن تدفع العلم دفعاً متى تم تمامها ، وأنها قد تجعل النصف الثاني أجل علماً وأنفع ، أفعندها أقل شأناً في سير العلم من المكتشفات والمخترعات التي تملأ السمع والبصر ؟ وما نقصد بلفظ العلم ؟ أنطلقه على علوم الطبيعة والكيمياء

يطهرنا من الوسوسة والموبقات والوثنية أياً كان نوعها ، وأن يوفقنا لحضور القلب بفهم معاني ما في مناجاتنا إياه ولا سيما في صلاتنا التي هي الصلة بيننا وبينه بقوله جل سبحانه « إياك نعبد وإياك نستعين » المستمطر الهدى منه جل وعلا إلى الصراط المستقيم بأدعية طاهرة صالحة جديرة ألا ترد ، وأن يرفعنا بآياته العظام ، ويحمينا من الانسلاخ منها ، والاخلاد إلى الارض باتباع الهوى ، وعدم التناهي عن المنكر ، وأن يمن علينا بالبراءة من الشرك الذي منه ما هو أخفى من دبيب النمل . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عبد العزيز العلي المطوع الكويتي